

تفسير ابن كثير

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الايات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى : { ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء } هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء } كما جاء مصرحا به مفسرا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخر بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول { الواحد القهار } أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكمت بالفناء على كل شيء ثم يحيي أول من يحيي إسرافيل ويأمره أن ينفخ بالصور مرة أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال D : { ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون } أي أحياء بعدما كانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى : { فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة } وقال D : { يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا } وقال جل وعلا : { ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون } قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو سترون قلت إنما شيئا أحدثكم لا أن هممت لقد قال وكذا كذا إلى تقوم الساعة تقول إنك هما B بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله بن عمرو هما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم E كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه] قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم [ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قال فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبن فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى له وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ثم يرسل الله تعالى أو ينزل D مطرا كأنه الطل - أو الطل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم { وقفوهم إنهم مسؤولون } قال ثم يقال أخرجوا بعث النار قال فيقال

كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيئا ويومئذ يكشف عن ساق [انفرد بإخراجه مسلم في صحيحه .
(حديث أبي هريرة B ه) .

وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال [ما بين النفختين أربعون] قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال رضي الله تعالى عنه أبيت قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت قالوا أربعون شهرا ؟ قال أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق .

وقال أبو يعلى : حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة B ه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [سألت جبريل E عن هذه الآية { ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء } من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسيا فهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك إليهم وإلهي وإذا ضحك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه] رجاله كلهم ثقات إلا شيخ إسماعيل بن عياش فإنه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تبارك وتعالى : { وأشرق الأرض بنور ربها } أي أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء { ووضع الكتاب } قال قتادة كتاب الأعمال { وحيء بالنبين } قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشهدون على الأمم بأنهم بلغوا رسالات الله إليهم { والشهداء } أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر { وقضي بينهم بالحق } أي بالعدل { وهم لا يظلمون } قال الله تعالى : { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين } وقال جل وعلا : { إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما } ولهذا قال D : { ووفيت كل نفس ما عملت } أي من خير وشر { وهو أعلم بما يفعلون }